



سقوط النظام بدأ بحماته في الزمان الخطأ والمكان الخطأ: لو لاحظنا لرأينا أن الثورة بدأت من درعا والسبب معروف، نظام اعتقد أطفالا لأنهم قدروا الكبار في مصر وتونس، فكتبا على جدار المدرسة: الشعب يريد إسقاط النظام.

والعادة في الدول الأخرى أن يتم تنبيههم أو استدعاء أولياء أمرهم كحد أقصى - وعندما نذهب وفد الأهالي يرجو رئيس الأمن (عاطف نجيب وهو قريب الرئيس) بإطلاق سراح الأطفال، وتعهدوا بتأنيبهم وعدم تكرار ذنبهم أو (كفرهم) فأجابهم: انسوهم وابعثوا لي بنسائهم لأجعلهم ينجبون أولادا غيرهم كويسيين وفهمانين؛ وطرد الوجهاء بسفالة (هذه هي ثقافة وقيم النظام) إنها إرادة الله جعلته يتصرف بهذه الحماقة في الزمان الخطأ والمكان الخطأ، الزمان زمان الربيع العربي التي هبت فيه رياح الحرية زمن البوعزيري، زمن عرف به الشعب طريقه واستيقظت الشعوب وتسابقت لتتدوس على جلديها الطغاة، و المكان هو درعا وعشائرها المتعاضدة التي كان النظام قد استقطبها بالمناصب، وبهذه الحادثة تحولت من أشد الناس مناصرة له (بعد طائفته) إلى ألد أعدائه.

وسقطت هيبة النظام على يد من كانوا يعتبرون من حماته ومؤيديه. ولو كانت الشرارة من غير درعا لما نجحت، فلا تماسك كتماسكها ولا حمية كحميتها، ولا تحول من أقصى السالب إلى أقصى الموجب كتحولها ولو كانت الشرارة في غير درعا لما امتدت إلى درعا معقل النظام الثاني. لقد ارتكب النظام جرائم من قبل أشد بكثير من حماته في درعا ومرت عليه بسلام (فلا من يدرى ولا من يحزن)، وكلنا يتذكر جريمة العصر حماة وجرائم كثيرة أخرى في حمص والجسر والمعرة وحلب ... التمييز الطائفي سبب تراكمي: ومن درعا امتدت الثورة بسرعة للمدن المحتقنة والتي كانت صامتة خوفا، وهي المدن التي يحيط بها وينزلها جهله الطائفيون النصيريون (كما توضح في البيضا ومثلها كثير) فثارت مدن الساحل وحمص وحماة وأدلب، وكذلك ريف دمشق بسبب زرع التسلط الطائفي في مستوطنة عش الورور وغيرها، بالإضافة لكثره تمركز فطعات

الجيش الذي يسيطر عليه الطائفيون وما يرافق ذلك من عجرفة وفساد، والحقيقة أن معظم الطائفيين كانوا يعتمدون على الزراعة وقد حضروا للمدن ليعملوا في وظائف الدولة، لأن الوظيفة أصبحت حسب الواسطة لا الجدارة، فاحتكروها، إضافة لمزارعهم وأراضيهم التي زادت بالرشوة، وترك الآخرون للفقر فلا أرض ولا وظيفة، وحتى البائع الجوال سيلاحق من قبل التموين اللصوص ومخابرات الرعب ووو، أما افتتاح محل فلا يكون إلا بالرشاوي للموظفين الطائفيين تقرب من المحاصلة (للتموين والبلدية والصحة والمرور) ومن يريد التوظيف من المدن عليه أن يدفع رشوة هائلة لهم بمئات الآلاف، إضافة للذل والخوف والاعتقال التعسفي والمراقبة والفساد والتمييز الطائفي العلني حتى شعر الناس أنهم مواطنون من الدرجة الثانية أو العاشرة. لذلك لا يستغرب الحماس الفوري الهائل للثورة لحد الاستشهاد. أما من كان في الداخل ولكن كان وضعه مشابهاً للمناطق المحتقنة السابقة فهم مناطق النفط: في حقل الرميلان قرب القامشلي، وفي حقل الفرات قرب القورية، حيث تم استبعاد أهل المنطقتين من العمل والوظائف والرزق، وأحضروا أتباع النظام ومعظمهم من الطائفيين، فكان أهالي المنطقتين من أشد المتخمسين وطليعة المتظاهرين منذ بداية الثورة.

أسباب تأخر الثورة في بعض المناطق: وكل هذا الظلم والفساد والتمييز الطائفي لم ينتشر في حلب والداخل لعم وجود الطائفيين إلا في مناصب الجيش والأمن ومراكز القرار من وراء الستار. لذلك كان الاحتقان أقل وتأخرت الانتفاضة والثورة ولكن من يذهب منهم للجيش كان يدرك الظلم والتفرقة بوضوح. وهناك أسباب أخرى جعلت جذوة الثورة أقل في بعض المناطق كتخطيط النظام المسبق وحسابه لمثل هذه الأيام، فبينما أغفلت الثورة ذلك وتركت حلب مثلاً لتاريخها على أنها مضمونة، فشدد النظام قبضته الأمنية عليها بكثير من حثالة البلطجية وعائلات المافيا. وسبب آخر هو انتشار التجار المحبين للاستقرار بأي ثمن، وهوؤلاء لهم تأثير مميز محبط في حلب ودمشق، بزيادة المشايخ من جماعة حسون في حلب والبوطي في دمشق الذين يحيطون الثورة جهاراً بداعي (أولي الأمر منكم) مع أنه ليس منا أبداً، أو بداعي الzed والتصوف (وأتباع الصوفية كثر وخاصة في حلب) ومعرفة ما في الصوفية من الحث على البعد عن السياسة وأمور الدنيا، ويتجه علماء المسلمين هؤلاء بالتحذير من الفتنة كما يدعون، مع أن إحباط الناس عن الالتحاق بالثورة هو فتنته بعدم نصرة الحق، ودعم لبقاء النظام واستمرار ظلمه وقمعه، وكل زيادة في عمر النظام هو زيادة في سفك الدماء معلق برقب المثبطين. مما سبق نفهم استماتة المغرر بهم من الطائفيين المتعففين للدفاع عن النظام. ولكن من غير المفهوم أو المبرر دفاع الآخرين عنه، إلا إذا كانوا مرتزقة أو جهلاء غير مطلعين على الحقيقة الكاملة والآن لا يستحق أن ينشد جميع أحفادنا نحن السوريين ومن كل المناطق

(أولئك أجدادي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جرير المجامع)

المصادر: